بحث عام | قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة | 08 أغسطس 2016

انفصاميّة حقيقة الاسم والهويّة للشباب الجزائري عبر "الفيس بوك"

وعي الذات إلى أين؟

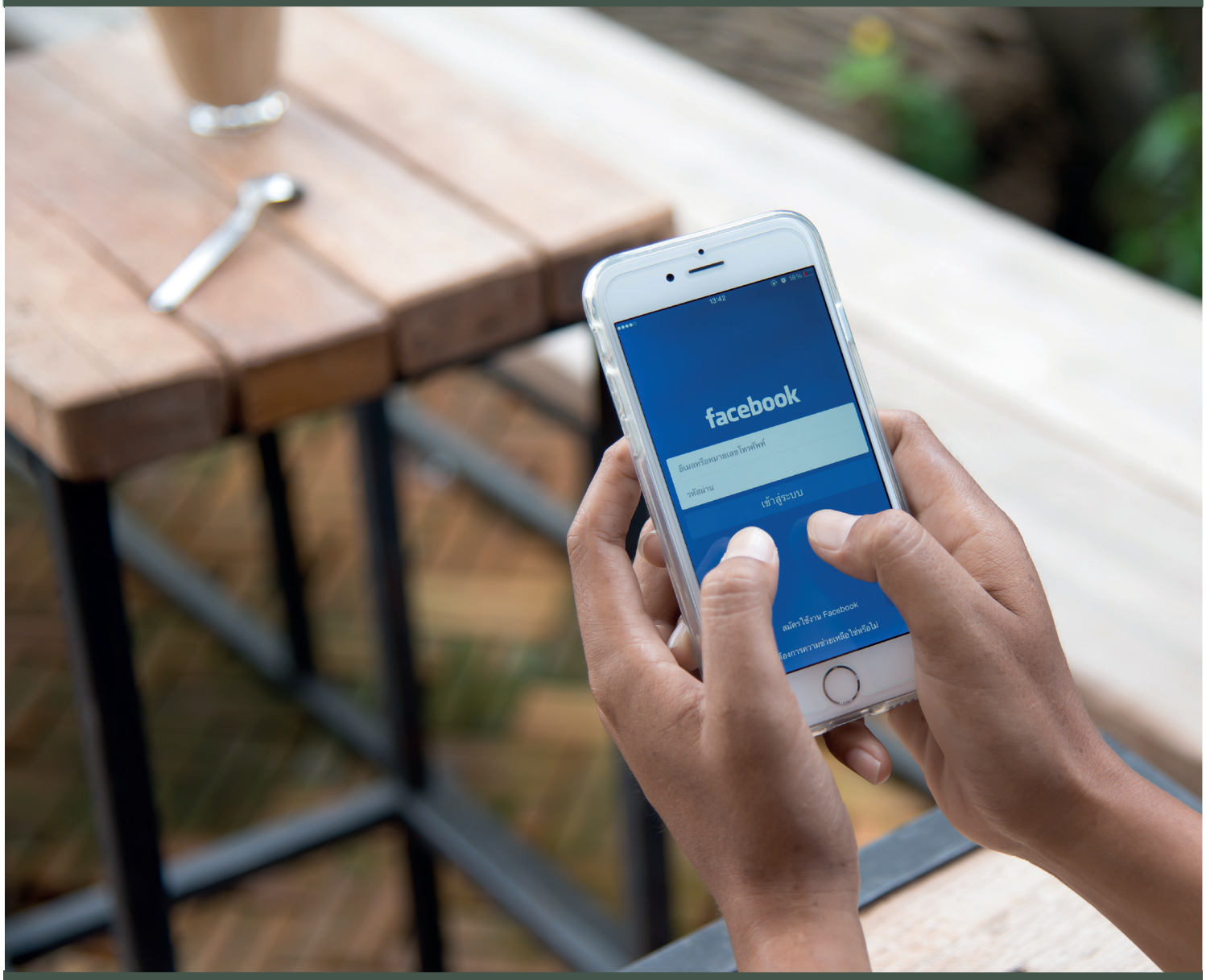

فاطمة همال
باحثة جزائرية

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
مؤسسة دراسات وأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2016
All rights reserved © 2016

الملخص:

لقد أصبح موقع التواصل الاجتماعي «الفيسبوك» معطًى حياتيًا حديثًا، تغلغل في حيثيات حياتنا اليومية الفردية والأسرية، والجماعية المجتمعية، فالجلي للعيان ترؤسه لقائمة شبكات التواصل الاجتماعي المستخدمة على المستوى العالمي، والعربي، والجزائري بشكل خاص، بحيث يسجل تزايدًا مستمرًا في عدد مستخدميه يوميًا، ليشكل خبرة جديدة أصبحت تعبر؛ بل وتصوغ شخصيات الفرد الجزائري خاصة الشباب، تلك الطاقة التي خرجت توًا من إرهاق المراهقة نحو بناء ذواتها، لتجد نفسها تجول عبر حساباتها الافتراضية الفيسبوكية استظهارًا لهوياتها وذواتها ومن تكون، فمفهومنا عن ذواتنا هو الذي يحدد نوع شخصيتنا وكيفية إدراكنا لها. وبين هويتهم التي يظهرونها على أرض الواقع وهوياتهم الافتراضية، ارتباط تقاطعي مع الاسم الحقيقي والاسم الافتراضي، لنجد حسابات الشباب الجزائري الفيسبوكية تتأرجح بين وعي ذات سلبي وآخر إيجابي، لتأتي هذه الورقة البحثية وتكون قراءة وصفية تحليلية للانفصامية التي تظهر في حقيقة الاسم والهوية للشباب الجزائري عبر موقع الفيسبوك، وذلك كمؤشر محوري عن طبيعة وعي الذات عند هؤلاء الشباب من خلال صفحاتهم الفيسبوكية، ليحاول البحث دراسة التساؤل التالي:

ما هي حقيقة انفصامية الاسم والهوية لدى الشباب الجزائري عبر الفيسبوك؟

وتضمن هذا التساؤل التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي المعطيات الأولية لاستخدام الشباب الجزائري لموقع الفيسبوك؟
- ما هي مؤشرات انفصامية حقيقة الاسم والهوية عبر الفيسبوك؟
- هل تعبر هذه الانفصامية عن محددات فعلية لوعي الذات والهوية عند الشباب الجزائري؟
- هل هذه الانفصامية لوعي ذات بنّاء أم منحرف خطير؟

وجاء الخط العام لمنهجية البحث؛ قراءة وصفية تحليلية منطلقة من ملاحظة عميقة لمضامين العديد من صفحات الفيسبوك وأسماء الحسابات التي كان الكثير منها مستعارًا، لتكون أهم محاور البحث كالتالي:

تعريف بالمفاهيم المكونة لعنوان البحث.

- استخدام الفيسبوك لدى الشباب الجزائري.
- الوعي بالذات وإشكالية هوية الوافد.
- مقومات هوية الشباب الجزائري عبر الفيسبوك.
- الأسماء الافتراضية عبر الفيسبوك: ملامح الانفصام.
- انفصامية الاسم والهوية: وعي ذات الشباب الجزائري إلى أين؟

مقدّمة:

إنّ مدرك الهوية عند الفرد لا يتم إلا بتلك الازدواجية في رؤية منطلق «الهو» للهوية، بين إدراك الفرد لهو هو نفسه، وإدراك الهو نفسه عند الآخر، وهي ازدواجية بقدر ما تبدو بسيطة التكوين يسيرة التحقيق، بقدر ما تعاني في امتثالها في الأذهان المدركة لها.

والتحول إلى القرية الكونية في القرن الواحد والعشرين نتيجة محورية تكنولوجيا الاتصال الحديثة؛ مهد للتعارف الكوني بين الشعوب والثقافات وتقديم الهويات، لكنه لم يعط ذاك المجال المتساوي والعادل خاصة لكل هوية ثقافية لتعبر عن ذاتها في إطار إدراك الهو نفسه عند الآخر.

وهذه اللاعدالة في التعاطي الثقافي هي لسان حال للقولبة التي حصلت للهوية العربية والإسلامية بشكل عالمي كانت له إفرازاته في صنع - إن لم يكن زرع - صراع هوياتي وضع فيه الفرد العربي؛ خاصة فئة الشباب، هذه الشعلة من الطاقة التي تحسد الشعوب العربية لامتلاكها إياها من حيث هي قوة بناء وتغيير، كونها وعاء الفكر المتقد الحامل لهوية وطنه بشكل خاص.

ففي ظل الارتباط الشديد لجيل الشباب العربي والجزائري خاصة في هذا القرن بعوالم الإعلام الجديد وفي مقدمتها شبكات التواصل الاجتماعي بشكل خاص، بدأت معالم تشكل جديدة للمكونات الهوياتية للشباب الجزائري عبر هذه الشبكات، خاصة موقع الفيس بوك الذي أصبح وفق ميزاته؛ كاشف الصراع الهوياتي لمعنى الذات ومتنفسه الذي يعيشه شبابنا، بين الانتماء والاغتراب، بين الهروب والتحدي، بين الهجر والبناء بالصمود.

صفحات عدة تتجول فيها الهويات التي قد تتجول باسم حقيقي لكن الكثير منها هويات حقيقية بأسماء مستعارة، تلقي بحقيقتها وبظلالها التي اختبأت على أرض الواقع طوعًا أو قسرًا. فحسابات عدة للشباب الجزائري تفتح على موقع الفيس بوك بأسماء مستعارة لكن بلب هوية أصحابها، ليصبح الفيس بوك متنفسًا انتقاليًا من عيش هوية غامضة المعالم مغلفة باسم حقيقي، إلى اسم مستعار لهوية حقيقية واضحة المعالم، تخرج للعيان وتريح صاحبها من التخفي، لتكون مضامين كل صفحة حساب فيسبوكي بصمة لا تقبل التزوير للهوية الحقيقية في ظل معطى الاسم المستعار، الذي سيكون درع حماية ضد واقع العادات والتقاليد والممنوع والسلطة والظلم ونيل الفرص ...، والقول بـ «درع حماية» لا يعني سلبية هذا الوضع لانفصامية حقيقة الاسم والهوية عبر الفيس بوك، فالوضع هو معطى لاتجاه وعي الذات في محورية الهوية، لتنقسم هذه المضامين إلى قطبيتين تثيران الجدل حول معطياتهما للتغيير؛ بين هروب لنيل استرخاء وبين فتح فرصة.

فهل هي انفصامية للتنفيس النفسي واللاسوي؟ أم أنّها نافذة نيل فرص بناء لم تر نورها على أرض الواقع؟

الهويـة:

لغة: مفهوم «هوية» كلمة حديثة في اللغة العربية، وهي اسم مصوغ انطلاقًا من الضمير المنفصل «هو» Lui. وهذا المفهوم ترجمة حرفية للفظ الأجنبي الأوروبي ذي الأصل اللاتيني Identité الذي صيغ بدوره، كاسم Substantif، من الكلمة اللاتينية Idem، التي تعني «هو نفسه، هو هو، الشيء نفسه». كلمة «هوية» تؤدي إذن المعنى الاشتقاقي والدلالي نفسه لكلمة Identité.[1]

اصطلاحًا: يشير مفهوم الهوية إلى ما يكون به الشيء هو هو، أي من حيث تشخّصه وتحقّقه في ذاته وتميّزه عن غيره، فهو وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري، ومحتوى لهذا الضمير في الآن نفسه، بما يشمله من قيم وعادات ومقومات تكيف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها.[2]

وتعرف الهوية بأنّها كل ما يشخص الذات ويميزها، فالهوية في الأساس التفرد، والهوية هي السمة الجوهرية العامة لثقافة من الثقافات، والهوية ليست منظومة جاهزة ونهائية، وإنّما هي مشروع مفتوح على المستقبل، أي أنّها مشروع متشابك مع الواقع والتاريخ، لذلك فإنّ الوظيفة التلقائية للهوية هي حماية الذات الفردية والجماعية من عوامل التعرية والذوبان.[3]

موقع الفيس بوك:

أكبر مواقع الشبكات الاجتماعية من ناحية سرعة الانتشار والتوسع، قيمته السوقية عالية وتتنافس على ضمه كبريات الشركات، نقطة القوة الأساسية في الفيس بوك هي «التطبيقات» التي أتاحت الشبكة فيها للمبرمجين من مختلف الأنحاء ببرمجة تطبيقاتهم المختلفة وإضافتها إلى الموقع الرئيسي.[4]

والفيس بوك هو عبارة عن موقع اجتماعي، تم إطلاقه في شهر شباط/ فبراير من عام 2004، وهو يتبع شركة تحتل الاسم نفسه، ويسمح هذا الموقع لمستخدميه بتكوين عدة شبكات فرعية، والانضمام إليها، من الموقع نفسه، وتتمحور الشخصيات التي تنتمي إليها عادة في دائرة فئة معينة، مثل كونهم من مهنة محددة،

1http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=339292

2 عباس الجراري، **مكونات الهوية الثقافية المغربية** (مقال منشور)، 1988، ص 22

3 سامية عزيز وعمر حمداوي، **دور المجتمع المدني في المحافظة على الهوية الثقافية في ظل العولمة**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، ص 712

4 ماهر عودة الشمايلة وآخرون، **الإعلام الرقمي الجديد**، الإعصار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015، ط1، ص 203

أو منطقة جغرافية معينة أو كلية أو مدرسة معينة، وغيرها من التجمعات والأماكن التي تساعد المستخدم على التعرف على المزيد من الأصدقاء والأشخاص الذين ينتمون أو يتواجدون في فئة الشبكة نفسها.[5]

الانفصام:

لغة: كلمة يونانية الأصل تنقسم إلى مقطعين: «سكيز» ومعناها: تشقق أو تصدع أو انقسام، و«فرينا» وتعني العقل، أي معناها انقسام أو تشقق العقل. وتعني أيضًا بلاهة مبكرة ينطوي فيها المريض المصاب على نفسه مندفعًا تحت شعار التجول الذهني في عالم الخيال والوهم وعدم الاتساق بين المزاج والفكر.[6]

ويعرّفه قاموس أكسفورد بأنّه: اضطراب عقلي يتخذ عدة أشكال تتسم الأعراض فيها جميعًا بانفصام الارتباط بين التفكير والشعور والأحداث على انسحاب من النشاط الاجتماعي والشكوى من الهلاوس والضلالات.[7]

اصطلاحًا: يعرف الانفصام على أنّه: حالة مرضية عقلية، تتميز بانقطاع العلاقة مع الواقع والانفصال عن الحقيقة والتفكير الخلوي. فضلاً عن أنّ هذا المرض يتميز بأعراض خاصة في التفكير، والشعور، وعلاقة الفرد بالعالم الخارجي، والتي لا تظهر بهذه الطريقة في أي مرض آخر.[8]

وعي الذات:

إنّ الذات هي المحور الرئيس للخبرة التي تحدد شخصية الفرد، فمفهومنا عن ذواتنا أي الطريقة التي ندرك بها ذواتنا هي التي تحدد نوع شخصيتنا، وكيفية إدراكنا لها، وتعتبر الذات جوهر الشخصية الذي يحقق انسجامها، ومفهوم الذات حجر الزاوية فيها.[9]

والوعي بالذات هو التبصير بالأسباب التي دفعت بالمرء إلى سلوك معين أو فهم المرء لنفسه، ومن ذلك يتضمن الشعور أو الوعي بالذات نوعين من المشاعر:

الشعور الإيجابي نحو الذات: ويتكون في النفس نتيجة للتقدير والمدح والتفوق الاجتماعي والنجاح.

---

5 عمار إبراهيم القندلجي، **الإعلام والمعلومات والانترنت**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2013، ط1، ص 350

6 سهيل إدريس، **قاموس المنهل عربي-فرنسي**، دار الآداب للنشر والتوزيع، 2005، ص 102

7 عبد الله حسين المنشولي، **مبادئ العلاج بالقراءة مع دراسة تطبيقية مع مرضى الفصام**، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط 5، 2007، ص 137

8 أحمد عكاشة، **الطب النفسي المعاصر**، مكتبة الآنجلو مصرية، ط5، 2010، ص 296

9 منى بنت عبد الله بنت نبهان العامرية، **أبعاد مفهوم الذات لدى العاملات وغير العاملات وعلاقته بمستوى الضغوط النفسية والتوافق الأسري بمحافظة الداخلية**، رسالة ماجستير منشورة إلكترونيًا، جامعة نزوى، 2014، ص 12

الشعور السلبي نحو الذات: ويتكون داخل النفس نتيجة للشعور بالرفض الاجتماعي ونقص الكفاءة الاجتماعية.[10]

الاسم الحقيقي:

هو الاسم الرسمي الذي يكتسبه أي فرد عند ولادته، والذي يسجل به في الأوراق الرسمية والدفتر العائلي في الدوائر الرسمية، والذي ينادى به في الغالب، ويكون متبوعًا باسم العائلة أو ما يعرف باللقب أو الكنية، ويكون في جميع أوراق ثبوتيته كشهادة الميلاد وبطاقة الهوية وجواز السفر وبطاقة السياقة....

الاسم الافتراضي:

وهو الاسم الذي يختاره الفرد عند تسجيله في عالم الأنترنت الافتراضي والذي غالبًا ما يكون غير مطابق لاسمه الحقيقي، ويسجل به في شبكات التواصل الاجتماعي، أو مواقع الدردشة، أو المنتديات وحتى البريد الإلكتروني، وقد يكون للفرد الواحد أكثر من اسم افتراضي، وقد يكون معروفًا افتراضيًا وواقعيًا، وقد يختزل وجوده ومعرفته في عالم الأنترنت الافتراضي فقط.

الهوية الحقيقية:

هي هوية الشخص الحقيقية على أرض الواقع، والتي تنطلق أساسًا من اسمه الحقيقي، وهي الهوية التي يعرف بها عند الناس، لغته، سلوكه، تعاملاته، طريقه تفكيره، ثقافته.... بغض النظر عن ما يخفيه وما يضمره أو يزيّفه.

الهوية الافتراضية:

هي الهوية التي تكون للفرد في العالم الافتراضي، والتي يعرف بها في العالم الافتراضي وتكون مقترنة باسمه الافتراضي غالبًا كما سبق وذكرنا على شبكات التواصل الاجتماعي أو مواقع الدردشة أو غيرها من الاستخدامات للاسم والهوية الافتراضيين، وقد تكون الهوية الافتراضية مغايرة لحقيقة ذات الفرد، وقد تكون معبرة عنها بدقة بما لم يتح له على أرض الواقع.

10 عبد العزيز حنان، **نمط التفكير وعلاقته بتقدير الذات**، رسالة ماجستير منشورة إلكترونيًا، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2011/2012، ص 30

1/ استخدام الفيس بوك لدى الشباب الجزائري:

تعد مواقع التواصل الاجتماعي الظاهرة الإعلامية الأبرز في عالمنا اليوم، كونها تستقطب شريحة كبيرة من فئات المجتمع، خاصة الشباب باعتبارهم الأكثر تأثيرًا في أي مجتمع بما يمثلونه من طاقات وقابلية للتغيير والتطوير، ويمكن أن تعمل مواقع التواصل على تفعيل الطاقات المتوافرة لدى الإنسان وتوجهها للبناء والإبداع في إطار تطوير القديم وإحلال الجديد من قيم وسلوك، وزيادة مجالات المعرفة للجمهور، وازدياد قدرتهم على التقمص الوجداني وتقبلهم للتغيير، وبهذا فإنّ للاتصال دورًا مهمًا، ليس في بث المعلومات، بل في تقديم شكل الواقع، واستيعاب السياق الاجتماعي والسياسي الذي توضع فيه الأحداث.[11]

وتشير إحصاءات عدة لأكثر مواقع التواصل الاجتماعي استخدامًا في المنطقة العربية؛ إلى كون التويتر والأنستغرام محتلّيْن لِقمّة الاستخدام لدى المجتمع الخليجي والمشرقي، في حين يتصاعد الاستخدام في المغرب العربي - ومنه الجزائر - لكل من الفيس بوك واللينكد إن، هذا الأخير الذي اشتهر بكونه نافذةً لفرص العمل، اعتلى أعلى نسبة استخدام لدى الشباب الجزائري في علاقة ارتباطية استنتاجية مع موقع الفيس بوك، توضح لنا أحد معالم استخدام الفيس بوك، في مجرى محددات خصائصه.

فالفيس بوك موقع تشبيك اجتماعي يمتاز بمجموع خصائص في تجزئتها احتواء لخصائص عدة للشبكات الاجتماعية الأخرى، فهو ليس للصور فقط كالفليكر، وليس للفيديو فقط كاليوتيوب، وليس محدود كلمات التعبير كالتويتر، وليس متاحًا للاتصالات الآنية فقط كالسكايب، لذا نجد التواجد الشبابي الجزائري على موقع الفيس بوك واسعًا باتجاهي الكم والكيف، فاستخدامات الشباب الجزائري للفيس بوك لم تتوقف عند مجال معين ولا عند عدد معين، ما يصعّب رصد هذا الاستخدام بين كونه وسيلة اتصال أم نافذة انفصال؟

وبأخذنا الفيس بوك مثالاً، «يتنوع استخدام شبكات التواصل الاجتماعية بصورة كبيرة، فهناك من يستخدمونها لتحقيق أهداف علمية أو ثقافية أو سياسية، أو يستخدمونها لأغراض الترفيه والتسلية وهو ما يبدو أنّه الأعم الأغلب، وهناك من يستخدمونها للثرثرة في أمور تتعلق بشركاتهم وأعمالهم ومنتجاتهم وشؤونهم المالية، وبالتغييرات الحاصلة في مؤسساتهم بل وحتى بفضائحهم. كما يتمادى الأزواج أحيانًا فيثرثرون بما يفعله شركاء حياتهم في مشروعاتهم السرية، مع ذكر التفاصيل المتعلقة بتلك المشروعات، وتكون النتائج خسائر كبيرة وفضائح مدوية، وقضايا قانونية.

وهناك على الجانب الآخر من يستخدمها للسرقة والنصب والاحتيال، أو لنشر الإشاعات والأكاذيب والإضرار بجهة بعينة، أو للتجسس وتجنيد العملاء، فهي أداة تدخل إلى بيت 800 مليون من البشر، بحيث

11 نادية بن ورقلة، **دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي السياسي لدى الشباب العربي**، دراسة منشورة إلكترونيًا، ص 2

يمكن لأجهزة المخابرات أن تستخدمها لكي تسبر غورهم وتعرف توجهاتهم، وتسعى لتجنيد من يكون منهم قابلاً للتجنيد.

والقاسم المشترك بين كل هذه الاستخدامات هو ثقة المستخدمين من عامة الناس في هذه المواقع الاجتماعية، واستبعادهم - بوعي أو بدون وعي - لاحتمالات تعرضهم للمخاطر من خلالها، بحيث أنّهم يضعون فيها معلومات عن حياتهم وصورهم وأسمائهم الحقيقية وشبكة أصدقائهم والنشاطات التي يشاركون بها في وقت فراغهم، كما أنّهم يتحدثون فيها بصوت عال عن كل ما يؤمنون به، وينسون أنّ هناك على الجانب الآخر آلاف المتربصين لاستغلالهم أو للإضرار بهم.»[12]

وهذا المستخدم الشاب ليس بمعزل عن التفاعلات التي يعيشها كل مستخدمي العالم، إذ يزداد يوميًّا عدد التسجيلات الجديدة للالتحاق بهذا الموقع، وتؤكد ذلك العديد من الدراسات الإحصائية التي أعطت أرقامًا ونسباً لعدد مستخدمي هذه الشبكات في الجزائر.

2/ الوعي بالذات وإشكالية هوية الوافد:

لقد ترددت كلمة العولمة كثيرًا منذ بدايات تسعينات القرن الماضي، ومازالت للآن تتمتع بصدى عال على المستوى العربي خاصة، لكن إن استندنا إلى واقع هذه الكلمة وكينونتها على مستوى القرن الواحد والعشرين ونحن ننتصف عقده الثاني، سنسأل أنفسنا: هل فعلاً مازالت هذه الظاهرة تعيشنا؟

الغزو الثقافي، الانسلاخ الهوياتي، ميوعة القيم، الاغتراب، الانفتاح الإعلامي وغير هذه الاصطلاحات؛ كانت المرافق الدائم لكلمة العولمة، ذاك الوافد الأجنبي عنا، الذي حمل إلينا ما ليس منا، فهل واقع العولمة في علاقته بهويتنا كان غزوًا أم لم يكن إلا تكملة خلل حال «وعي الذات» عند الفرد -الشاب- العربي المسلم على وجه الخصوص؟

لقد أقيمت العديد من المؤتمرات، وأنجزت العديد من الأبحاث التي خاضت زوايا هذه الظاهرة الاستفهامية لآخر القرن العشرين، والتي غلفت بمصطلح العولمة أيضًا، فتحدث الكثيرون عن الغزو الثقافي الأجنبي، وعن الانسلاخ الهوياتي الذي سئلت فيه الهوية العربية الإسلامية عن واقعها، عند حاملها «الفرد العربي»، فسئلت عن اللغة والدين، عن الإرث الثقافي وعن المنحى الحياتي، عن إشكالية الوافد الأجنبي إليها، لكن هل سألناها –أي هويتنا- أين مكمن التغيير الباذخ فيها في ظرف أقل ما يقال عنه إنّه قياسي؟ هل فعلاً أنّ

12 جبريل بن حسن العريشي، **التحول إلى مجتمع معلوماتي وتحديات المحافظة على الهوية الثقافية في المملكة العربية السعودية**، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2016، ص 67

وجه التغيير كان في هويتنا باتجاه الآخر أم أنّ الحقيقة المرّة هي أنّه كان نابعًا من باطن هويتنا في وعينا بذواتنا؟

«الوعي بالذات وإشكالية الوافد» محورية جدلية ارتكنت لمجموع معطيات ألفتها، ظاهرها غير باطنها، لها من المعطيات الأساسي والثانوي، ولعل في استعراضنا إيّاها تسمية ما هو مألوف في الأدبيات الكثيرة التي كتبت عنها خلال السنوات الأخيرة، لكن ربما نظرتنا إليها وترتيبنا إياها بين المهم والأهم ما يغير التعاطي معها.

فإن ابتعدنا ولو قليلاً عن حتمية العمل بمنظور «نظرية المؤامرة»؛ فستتغير رؤيتنا لأحوالنا، فهل فعلاً الآخر من غزانا وسلخنا وحوّرنا إلى ما يريد ويتمنى؟ أم نحن من جعلنا من أنفسنا وافدين عليها؟، أعيد وأكرر: جدلية، ارتكنت لمعطيات هي ما تناولته أدبيات نظرية المؤامرة والوافد الأجنبي نفسها، لكن ترتيبها يحيلنا على الضفة الثانية.

ألسنا من اتخذ اللسان الغربي معيارًا للتحضر؟ ألسنا من اتخذ علوم الغرب يقينًا؟ ألسنا من استعنّا بهم على بعضنا في انتماءاتنا القومية لتتدخل عسكريًا؟ ألسنا من تراجعنا عن مرجعياتنا الدينية ونادينا بالانفتاح فأتتنا العلمانية معولمة سرطنت إعلامنا واقتصادنا، تعليمنا وتنشئتنا، علاقاتنا الاجتماعية وعلاقاتنا بذواتنا؟ ألسنا وألسنا، علينا أن نتصارح مع انعكاساتنا المقابلة لنا في مرآة الحقيقة، فالمرآة لا تزيد التفاصيل، لا تقبح ولا تجمل، هي دقيقة في انعكاسات من يقابلها، فدعونا نكون واقعيين في النظر، فالتغيير يبدأ من الداخل لا الخارج، الإشكال في هوياتنا هي رؤيتنا لذواتنا، وليس رؤية الآخر لنا، تلك النظرة التي انتكست فسلمتنا عبيدًا للآخر ليفد إلينا بترحيب.

3/ مقومات هوية الشباب الجزائري عبر الفيس بوك:

الهوية هي بصمة مرور، بطاقة تعريف، «دي آن أي» حصري لكنه ليس انفراديًا، بل ذلك التميز الجامع لمجموع أشخاص وفق مجموع مقومات تصنعه لتجمعه وتصوغه، والهوية كما أسلفنا الذكر؛ كل مركب جزئياته: لغة، ثقافة، انتماء...

وفي سياق موضوعنا البحثي في انفصامية حقيقة الاسم والهوية؛ كان ضروريًا لنا المرور على منعرج «مقومات هوية الشباب الجزائري عبر الفيس بوك»، لنرى تلك المفصليات من لغة وثقافة ودين وانتماء... متلحفة ثوبًا غير معهود جليًا للعيان.

فاللغة ليست أداة تعبير وأثاث نطق وحبر كتابة فقط، اللغة هي تلك الواجهة الزجاجية التي يتراءى منها الفكر؛ وتنضح منها الهوية للفرد والمجتمع.

وكما ارتبطت اللغة بالفكر وكانت «اللغة فكرًا» ينقل عبرها، فقد ارتبطت اللغة كذلك بهوية أي فرد وأي مجتمع وأي ثقافة، فهي الأفكار في تجسدها الرمزي القابل للتبادل والنقل والفهم في سياق العملية الاتصالية، والأخيرة هي في سياق اجتماعي هنا؛ تتبعًا لكنية الفيس بوك «شبكة تواصل اجتماعي»، لتطفو إلى السطح مجموع الحقائق الظاهرة والخفية عن واقع اللغة لدى شبابنا عبر موقع الفيس بوك.

بين الاختصارات (mdr: ميت من الضحك، slm: سلام، lol....)، وبين الكتابة بالحروف الأجنبية والعربية بوصفها مبنًى لغويًا ليتم تناقل اللغة معنًى تأصيليًا بين الحديث باللغة العربية أو الأجنبية بحروفها الأصلية، وبين الحديث بلغة بالحروف الأجنبية عنها، لتظهر توصيفات لهذا الحال بين تسمية «الأرابيزي» وبين «جيل الفرانكو آراب الرقمي»، وبعيدًا عن التدقيق في التسميات وجب علينا التدقيق في سبب التسمية.

فبين (Hiهاي) و(slm سلام) و(mdr ميت من الضحك) إلى استخدام لغة الآخر في الحوار (Baby) إلى المستحدث التعبيري الريادي عبر الفيس بوك - على غرار شبكات التواصل الاجتماعي الأخرى ومواقع الدردشة -؛ «الرسوم التعبيرية (Émoticônes)»، التي نابت عن أحوال وأقوال، لنعود ونحن بمفصل هذا الحال إلى الجدلية الفلسفية التي باتت عاجزة على ما يبدو بين سبق اللغة عن الفكر أو العكس مع احتفاظ بعملة اللغة الفكر، إلى هوية هذه اللغة وهذا الفكر؛ إلى أين ستصل وإلى من تتجذر؟

تقفز إلى ذهني آخر مستجدات المعالجات الفنية للقضايا الراهنة، قد يستغرب القارئ وضع الأسطر اللاحقة هاهنا؛ لكنها الحقيقة تفرض نفسها، لنقول على لسان الأغنية: «لا سلطان ولا أمير حبل الكذب قصير... خايف على ابني يصير مؤثر بالغرب كتير مكسر لفظو تكسير كل حكيو أجنبي...»

لنفتح الباب على مقوم آخر لا يقل أهمية ولا تغير لحقه؛ بل كان في مقدمة المقومات المتغيرة، أنّها «الثقافة» التي تعني في أبسط تعاريفها: مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريًا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهي على هذا التعريف المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته، وهذا التعريف الشامل للثقافة هو الذي يحدد مفهومها، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر، وهكذا نرى أنّ هذا التعريف يضم بين دفتيه فلسفة الإنسان وفلسفة الجماعة، أي مقومات الإنسان ومقومات المجتمع، مع أخذنا في الاعتبار ضرورة انسجام هذه المقومات جميعًا في كيان واحد، تحدثه عملية التركيب التي تجريها الشرارة الروحية، عندما يؤذن فجر إحدى الحضارات.[13]

13 مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2013، ص 74

والحضارة الافتراضية، وعصر السرعة وتيارات المعلومات، أنبأت وتنبئ بتطورات خطيرة تعدت الحديث عن العولمة الثقافية، إنّنا هاهنا نوصف الانسلاخ الجذري المدروس لها، وإن أسندنا القول إلى أشهر تعريفات الثقافة عند تايلور بقوله إنّها: ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث كونه عضوًا في المجتمع، نجمع التعريفين لتايلور ومالك بن نبي، ونقوم بالإسقاط، لنجد أنّ هذا المركب عند شبابنا الجزائري قد تغير من خلال محتويات حساباتهم الفايسبوكية، فعضويته التي يكتسب منها العادات والقدرات أصبحت افتراضية تبعًا لتبعيته للمجتمع الافتراضي أكثر من الواقعي، ولنا في هذا القول أدلة عدة، ومن هذه الحقيقة ستنطلق جزئيات المركب: المعارف، العقيدة، الاخلاق، الفن....، وعلى حد تعريف مالك بن نبي، أثر استخدام الفيس بوك في الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي أصبح الشباب الجزائري يحملها ويعكسها باتجاه المحيط الذي يعيش فيه، ويتعايش مع أفراده، ما زاد انفصاميته الثقافية أيضًا بين الوسط الاجتماعي بكل حيثياته الدينية واللغوية والعادات والتقاليد... الذي تلقاه في تنشئته الاجتماعية الأسرية، وبين العالم المفتوح الذي أصبح يعايشه رقميًا وافتراضيًا من خلال حساب الفيس بوك، هل يتراجع عن قصة شعر عالمية لأنّها منافية للدين أم يتّبع التيار؟، هل يعتز بلغته أم يتبنى اللغات الإنجليزية والفرنسية دليلاً على صفته باعتباره مثقفًا؟، هل تعنيه الإنسانية من المنظور الغربي، أم الإنسانية من المنظور الإسلامي الصالحة لكل مكان وزمان؟، هل يحلم بطموح وطني أم هجرة خارجية؟، هل وهل؟؟ كلها تساؤلات تطرح حول مضامين هذه الحسابات على موقع الفيس بوك ولسنا بعيدين عنها طرحًا وتحليلاً.

لنأتي إلى رافد آخر يطرق جرس خطر الهوية العربية ككل وليس الجزائرية فقط، ويؤسس لمستقبلها ألا وهو: «الانتماء»، بين الانتماء للوطن، للدولة، للثقافة للغة، للذات للعائلة، للدين... أشكال عدة لا تتجزأ عن بعضها بقدر ما تتداخل بينها وتتداخل مع باقي المقومات.

فالانتماء قيمةً واتجاهًا وفكرةً أخذ أبعادًا أخرى في ظل موقع الفيس بوك، فالمضامين المنشورة عبر صفحات الفيس بوك تعطي قراءات عدة لهذا الانتماء، فبين قطبَيْ السلبي والإيجابي يتصاعد الانتماء وينزل.

وإذا ما أخذنا «الانتماء» على المعلم المتعامد والمتجانس - افتراضًا - للحاجات النفسية مع الحاجات الاجتماعية، يبدو تواتر الرسم البياني لهذا الانتماء ارتفاعًا وانخفاضًا، استقرارًا وتذبذبًا، فبين الانتماء الاجتماعي للجماعة؛ للأسرة؛ جماعة الأصدقاء و«محبوبية الجنس الآخر» يتقاطع الانتماء النفسي، للحاجة لتقدير الذات إلى تقدير الجماعة، إلى عدم النبذ إلى المحبة إلى الاهتمام إلى صنع مستقبل متحقق على أرض الواقع.

فالأفراد أصبحوا يقضون وقتًا طويلاً في التعامل مع الكمبيوتر والأنترنت بطريقة لافتة تسترعي الاهتمام، بما ينطوي عليه ذلك في كثير من الأحيان من حاجة إلى العزلة عن الآخرين خلال فترة الاستخدام، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى إشاعة حالة من العزلة الاجتماعية، وبالتالي إيجاد نوع من التفكك الاجتماعي، خاصة في ظل انتشار أنماط جديدة من القيم والسلوكيات المستحدثة في المجتمع العربي كله.

ويشير المتخصصون في هذا الصدد إلى ما بات يطلق عليه انطوائية الكمبيوتر Computer Phyliac وقد توجد هذه الحال لدى الأفراد الانعزاليين ذوي الشخصيات الانطوائية أو الأشخاص الذين يرغبون في الهروب من ظروفهم ومشكلاتهم الحياتية فيلجؤون إلى الحاسوب ليفرغوا فيه طاقتهم وهمومهم، فضلاً عن الإجهاد والتوتر النفسي الذي ينتج من استخدام الحاسوب لفترات طويلة.

وفي مثال من أمثلة متعددة، لا يمكن لنا أن نتجاهل واحدًا من أشهر مواقع التواصل العالمية على الشبكة الدولية للمعلومات وهو الموقع المعروف بـ «الفيس بوك»؛ والذي يتيح لمستخدم الأنترنت –دون أن يتحتم عليه دفع أي مقابل مادي- التعرف على الأصدقاء والصديقات من كل أنحاء العالم، فبمجرد التسجيل بموقع «الفيس بوك» سوف تطاردك عبارة Add as a friend، والتي بمجرد أن تضغط عليها سوف يصبح لك أصدقاء من الرجال والنساء.[14]

وغير بعيدين عن المستحدثات على ساحة موقع الفيس بوك، تعكف مراكز أبحاث عدة مؤخرًا على البحث في ظاهرة جديدة أطلق عليها «اكتئاب الفيس بوك» الذي تلا مجموع المستحدثات النفسية للعالم الافتراضي، كالإدمان والمهلوسات الافتراضية، وبات هذا العالم الافتراضي هو البيت والمأوى، هو الصديق والأسرة، هو منصة التعليم واللعب، هو الفرد والمجتمع.

4/ الأسماء الافتراضية عبر الفيس بوك: ملامح الانفصام:

هناك شيء أود أن أورده، وأمر منفّر بشكل أساسي في العالم الرقمي الذي نعيش فيه الآن، ذلك أنّ الدلالة اللغوية للأجهزة الرقمية هي الانفصال، وهو ما يمثل عالمًا من لحظات منفصلة ومعارضات ثنائية للتشغيل أو الإغلاق، والداخل والخارج، أو نعم أو لا، أصبحت الأجهزة الرقمية التي نستخدمها ذات قوة متزايدة، وأصبحت قادرة على ربطنا بالآخرين بطرائق رائعة، ولكن في الوقت نفسه، يبدو أنّها تعزز نوعًا من الفردانية الفائقة، وعدم الشعور بالانتماء إلى الجماعة. ونقول إنّ الاتصال العالمي يعني أنّه يمكنك أن

14 جبريل حسن العريشي وسلمى بنت عبد الرحمن محمد الدوسري، **الشبكات الاجتماعية والقيم رؤية تحليلية**، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص 105

تكون متصلاً بالجميع، والسؤال: هل أنت متصل بأي شخص؟ هل الناس أقل قلقًا في عالمنا الرقمي الجديد أم أكثر قلقًا؟ هل لديهم وقت أقل لأنفسهم ولأحبائهم؟ ولمجتمعاتهم المحلية، أم هل لديهم المزيد من الوقت؟[15]

وانطلاقًا من المعطى أعلاه؛ فإنّ الأسماء الافتراضية - كما سبق تعريفها - تتمتع بشعبية أضيفت لمستخدميها انطلاقاً من أصحابها الحقيقيين، بين أسماء المشاهير من المغنين والممثلين وأبطال الرياضة خاصة كرة القدم، والشعراء وأبطال المسلسلات والأفلام وأبطال رسوم الكرتون حتى، هذا من جهة، وبين تسميات شعورية رومانسية أو مأساوية: بقايا إنسان، مجروح مشاعر، أسير الحب، شبح الروح... من جهة ثانية.

لتنجلي كخطوة أولى؛ ملامح انفصامية الهوية من بين هذه التسميات مرفقة بالصور المدعمة لها، لنبدأ التلاقي بها للتعرف إليها انتقالاً من الاستعارة إلى التقمص إلى تسويق الذات.

فإن كان المشاهير من رجال الأعمال والأبطال الرياضيين والفنانين المعروفين عبر ساحة الغناء والتمثيل قد عانوا من استعارة أسمائهم وصورهم، فذاك كان خوفًا على سمعة الشهرة أو مخافة اتجاه إشاعة عكس مبتغاهم، فإنّ الأمر قد وصل إلى منعطفات خطيرة عند من استعار الأسماء من النصب والاحتيال من ناحية قانونية مالية، وأمراض واختلالات من ناحية تكوين نفسي واجتماعي هوياتي.

فيتمثل الاحتيال بإغراء المتلقي بالاستجابة لطلبات المتصل في الحصول على معلومات شخصية، أو العنوان البريدي الألكتروني ليتمكن من الدخول واستخدام البريد الألكتروني في أعمال تخصه... والتشهير وتشويه السمعة في مواقع التواصل الاجتماعي سهل وميسر للعابثين وذلك بالقيام بنشر معلومات حصل عليها المتصل بطريقة غير مشروعة أو معلومات مغلوطة وتهدف إلى كسب مادي، سياسي أو اجتماعي معين. وعن طريق الاستيلاء على كلمة المرور يمكن للمتصل العابث انتحال شخصية العديد من الشخصيات البارزة والمرموقة، الذين يملكون آلافًا من المتابعين على الشبكات الاجتماعية.[16]

والمستخدم المستعير لهذه الأسماء لا يتوقف عند ما تجلبه شهرة الاسم من مكانة اجتماعية افتراضية قد تتحول إلى واقع، بل تتعداه إلى الدخول في حالات التقمص أو تسويق الذات بما لا ينم عن حقيقة هذا الفرد ومكوناتها.

15 آرثر آسا بيرغر، ترجمة صالح خليل أبو أصبع، **وسائل الإعلام والمجتمع: نظرة نقدية**، عالم المعرفة، الكويت، 2012، ص 134

16 عبد الرحمن بن إبراهيم الشاعر، **مواقع التواصل الاجتماعي والسلوك الانساني**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015، ط1، ص ص 58-57

ففتح حساب فيسبوكي باسم مستعار، ومن خلال قراءة محتويات عديد الصفحات يعطي دلائل ملامح الانفصام التي انطلقت من الاسم المستعار لتكون هوية أسست الذات الحرة وأخرجت لب الهوية الحقيقي إلى أرض الواقع الافتراضي؛ الواقعي العيش الهوياتي.

فالمحادثة عبر الأنترنت «الدردشة» تعطي الشخص الفرصة للكلام على أشياء لا يستطيع قولها مباشرة بسبب الهويات المزيفة التي يستعملها مستخدم الأنترنت، وبالتالي لا تستطيع الأطراف الأخرى التعرف على الشخصية الحقيقية له ولا يعرفون أصلاً سوى اسمه المستعار.[17]

وهنا تبرز أكثر ملامح الانفصام، في عيش الفرد بشخصية على أرض الواقع باسمه الحقيقي، غير الشخصية التي يعيش بها افتراضيًا وباسمه الافتراضي، حتى أنّنا أحيانًا نصدم في أشخاص كثيرين، والصدمة ليست في نطاق المتداول فقط في أبسط حالاته، ككون صاحب الحساب الفيسبوكي والافتراضي بشكل عام؛ اسمه ذكرًا وحقيقته أنثى أو العكس، بل الصدمة تكون في أقصى وأخطر درجاتها، وهي حدوث حالة الانفصام الحقيقية، بتقمص هويات أشخاص معينين مشهورين أو غير مشهورين، أو تقمص هوية خيالية يتمنى متقمصها أن يكون هي فعلاً، لتضطرب حياة العديد من الأشخاص في انفصامية اتسعت نحو العالم الافتراضي، لتخرج المغلف والمكبوت والمضطهد والمكتئب والمحتال والمظلوم حتى؛ إلى هذا المسرح «الفيس بوك»، وهي النتيجة التي أدت إلى بروز ظواهر لم تكن قبلاً كحالات اكتئاب الفيس بوك، أو احتيالات الأسماء المستعارة أو الأضرار بتقمص شخصيات المشاهير، ليتحول هذا الفضاء الافتراضي نحو منعطف غير متوقع، من فضاء حريات وبناء مستحيلات الواقع المعيش، إلى هروب واغتراب نفسي اجتماعي، ورهاب المواجهة للمشكلات، وغير ذلك كثير لا يسعه الحديث في هذا المقام.

غير أنّ هذه الانفصامية كانت لها إيجابيات مسجلة قد تنحو إلى وضعها في مجال تسويق الذات، فالشخصيات الخجولة والمنطوية والمضطهدة فكريًا والتي لم تنل فرصتها على أرض الواقع والموهوبة والمبدعة... وجدت في هذا الفضاء الافتراضي «الفيس بوك» الانطلاق نحو الذات الإيجابية والواقع، نتيجة الرؤية البناءة والإيجابية لهوياتهم وذواتهم، والتي ابتدأت مع أسماء هويتهم المستعارة ربما، منطلقة إلى تسويق ذواتها في أعمالها، أدبًا ورسمًا، غناءً وموسيقى، أعمالاً وفكرًا، اختراعات وعلومًا، وحتى الأعمال الخيرية، إبداعات عدة انطلقت نتيجة الفصامية الإيجابية التي عاشها عديد الشباب الجزائري - على غرار العربي والعالمي - ليصنع لنفسه مستقبلاً ويفرض نفسه، ويقتنص فرصة حقيقية لقدرات حقيقية من نقطة افتراضية باسم افتراضي.

17 جبريل حسن العريشي وسلمى بنت عبد الرحمن محمد الدوسري، مرجع سبق ذكره، ص 106

5/ انفصامية الاسم والهوية: وعي الشاب الجزائري ذاته إلى أين؟

إنّ حديثنا عن وجود دلائل واضحة للعيان عن كون الأسماء المستعارة عبر حسابات الفيس بوك دليلاً على وجود انفصامية في حقيقة الاسم والهوية، يحيلنا مباشرة وآليًا إلى البحث عن لب هذه الهوية المنفصمة إلى أين اتجهت، إنّه «وعي الذات»، لنتساءل عن حاله وكيف هو، وكيف وصل إلى وضع الانفصامية ذاك، لنطرح أولًا سؤالنا التالي:

هل هذه الانفصامية هي لوعي ذات بناء أم منحرف تائه؟

لقد زادت التقنية من فرصة **اللقاء الإلكتروني** لأعداد كبيرة من الشباب من الجنسين من خلال التجمعات Groups تتجمع على كف اليد وفي أي مكان من العالم، وتعبر عن ذواتها في الـ «الشات» حيث تمكّن هذه التقنية من استقطاب الكثيرين للدخول إلى عالم الانترنت وأصبح الشخص - بضغطه على زر بحجم كف اليد - قادرًا على التواصل مع من حوله في المكتب والسوق والمطار والمدرسة والجامعة و«الكوفي شوب» والمطاعم... إلخ، لا سيما إن كان هذا الآخر من غير جنسه.»[18]

ألا ينبغي أن نصحو من هذا الفزع الرقمي الذي يملك علينا حياتنا، فلا ننتبه لما يضيع منا من أشياء جميلة تعطي الحياة قيمتها وبهاءها؟[19]

فعلى الرغم من أنّ لعضويتك في مجتمع افتراضي بعض القيمة ما دمت تعمل على مساعدة الناس بالاهتمام بحاجتهم في التفاعل الاجتماعي - ونحن؛ بعد كل شيء حيوانات اجتماعية - يمكنني فقط أن أتساءل عما إذا كانت الإشباعات التي يحصل عليها الناس من خلال كونهم أعضاء في هذه المجتمعات تكفي لسد احتياجاتهم للتفاعل الاجتماعي. ولكن مستخدم الانترنت - خاصة في سن المراهقة والشباب - لا يعي في أغلب الأحيان أنّ هذه الصداقة قد تتطور إلى علاقة مشبوهة ذات أبعاد مغايرة.[20]

تحضرني حصة أمريكية ارتبطت أساسًا بموقع «الفيس بوك» ولاقت رواجًا كبيرًا، بثت وتبث على قناة «MTV»، إنّها حصة «كاتفيش Catfish» والتي عرضت لمواسم عدة، دارت أساسًا حول حقيقة هوية حاملي أسماء الحسابات الفيسبوكية في علاقاتهم بالآخرين، وبالتحديد في علاقات الحب، والتي يسعى أصحابها إلى معرفة هوية ذلك الاسم والشخص الافتراضي الذي يتواصل معه باستمرار، وإن كان صادقًا في مشاعره وأقواله، وكم اعتلت الخيبات النسبة العالية للهويات المزيفة القليلة الحقائق الفعلية.

18 جبريل بن حسن العريشي، مرجع سبق ذكره، ص 65

19 المرجع نفسه، ص 193

20 آرثر آسا بيرغر، مرجع سبق ذكره، ص ص 135-136

والحديث عن هذه الحصة ليس اعتباطيًا أو من سبيل الحشو في موضوعنا، بل العكس؛ هو منعكس لكثير من مفصليات موضوعنا الحالي من مكبوتات، وشعور سلبي نحو الذات عند الكثير من الشباب الأمريكي، عن الانطلاق من عالم افتراضي لتحقيق واقع غير معيش، عن ربط علاقات بمشاعر حقيقية من وراء الشاشات، عن تعليق آمال، عن بناء طموحات وأحلام، عن اتصالات يومية، عن تبادل الأسرار، عن وطن، أليس ذلك حياة معيشة؟

المجتمع الذي انطلق منه الموقع؛ أصبح مرآة له، ومشكلة لمستخدميه، لنسحب أنفسنا قدمًا نحو شبابنا الجزائري، فكيف الحال مع الفيس بوك في ظل الطرح أعلاه؟

فإذا كان الكمبيوتر والدخول على شبكة الانترنت وغرف الدردشة تعبيرًا عن صيحة علمية وتكنولوجية باهرة، فإنّها في وجهها الآخر تعبير عن فراغ عاطفي ونفسي ووجداني لدى بعض الأفراد، وخصوصًا في هذا العصر الذي يغلب عليه الطابع المادي، فضلاً عن أنّ الإقبال الشديد على غرف الكمبيوتر والدردشة عبر الأنترنت يعبّر –في أحيان عديدة- عن غياب الضبط الأسري والهروب من العلاقات الاجتماعية المباشرة والواضحة إلى علاقات محكومة بالسرية ومحاطة بالكتمان ومأمونة العواقب في ظاهرها إلا أنّها قد تقود في النهاية إلى مزالق خطيرة تعصف بحياة الأفراد ومستقبلهم، وتفسير ذلك أنّ غرف الدردشة والأنترنت بعامة هي المكان الذي يستطيع فيه الإنسان العربي أن يتحدث مع نفسه ومع غيره بصراحة ليقول ما لا يستطيع قوله في الاتصال المباشر. وهذه العلاقات هي أشبه بضربة الحظ، والتي تخرج بعلاقة جديدة ومفيدة على المستوى الاجتماعي، أو بخسارة فادحة عندما يتم الاصطدام بأولئك الذين يبحثون عن العلاقات غير الشرعية على شبكة الأنترنت، وبالتالي إمكان حدوث ما لا تحمد عقباه.[21]

«فالعلاقات الاجتماعية تولد أنماطًا لإدراك العالم من حولنا، وهذه الأنماط بدورها تساهم في الحفاظ على تلك العلاقات.»[22]

إنّ الخصائص التي يتميز بها الفيس بوك؛ فتحت نوافذ عدة - مؤسسة على خصائص عالم الأنترنت الافتراضي- لذوات الشباب الجزائري لتعبر عن نفسها، بين النشر، والتدوين، والمشاركة، والاتصالات، واستعارات الأسماء والصور، والقرصنة، ومجموعات الأصدقاء... كلها في لبها بدائل حلول لما يواجهه شبابنا، سلبًا كان أو إيجابًا، لكنه في الأخير انعكاس محدد المعالم لوعي الذات عندهم، ونحن في ذلك لا نجزم يقينًا لكن نستبين بمعالم واضحة تتحدث عن نفسها وليست تأويلاً بحتًا من قبلنا.

21 جبريل حسن العريشي وسلمى بنت عبد الرحمن محمد الدوسري، مرجع سبق ذكره، ص ص 106-107

22 مجموعة من الكتاب، ترجمة علي سيد الصاوي، **نظرية الثقافة**، عالم المعرفة، الكويت، 1997، العدد 223، ص 17

وكما ذكرنا سابقًا؛ فإنّ وعي الذات هو: الطريقة التي ندرك بها ذواتنا هي التي تحدد نوع شخصيتنا، وكيفية إدراكنا لها، وتعتبر الذات جوهر الشخصية الذي يحقق انسجامها، ومفهوم الذات حجر الزاوية فيها.

وللأسف ليس في بعض مضامين ما ينشر عبر صفحات الحسابات الفيسبوكية للشباب الجزائري ما يدلّ على الوعي السلبي للذات فقط، بل هناك صفحات مخصصة بكاملها لتلك النظرة السلبية لذواتهم، فبيان هذا الاتجاه السلبي واضح وطاغ إلى حد كبير على الاتجاه الإيجابي.

ويتكون مفهوم الذات السلبي نتيجة النبذ وعدم المحبة اللذين يبديهما الوالدان للشخص في مرحلة الطفولة، ونتيجة للتجارب السلبية التي يتعرض لها الفرد في مرحلة النضج، فعندما يتعرض هذا الشخص لموقف محرّض يؤدي إلى تحريك نقطة سلبية عنده لها علاقة بذاته، فإنّ هذا الموقف يولد توقعات سلبية منها فشله في التعامل مع الموقف، وهذه الأفكار والتوقعات تخلق قلقًا، وهو ما يؤدي إلى فشل التعامل مع الموقف، وبالتالي يؤكد التفكير السلبي عن الذات، ويزيد ذلك الإحساس بالفشل ما يؤدي إلى كآبة وقلق، وهكذا تبقى الدورة مستمرة. إنّ أقسى صورة للأفكار السلبية هي التي تظهر على شكل صوت نقد داخلي، وإنّ النقد السلبي المتواصل من قبل الإنسان لذاته أشبه بسوس ينخر الإنسان ويوجعه، فالإنسان الذي يمارس النقد السلبي الذاتي بشكل مستمر يعيش في حالة صراع مستمر مع نفسه، وغالبًا ما يؤلم الإنسان ويوجعه، ويكون هذا النقد له صوت داخلي بكلمات محددة مثل: أنا غبي، أنا قبيح ...إلخ. فالنقد السلبي الذاتي يجعل الإنسان يدور في دائرة مفرغة لا مفر لكسرها، بل هي تكسره يومًا بعد يوم أكثر فأكثر. ويرتبط ميل الفرد إلى التقليل من ذاته أو حتى كراهيتها ارتباطًا وثيقًا بعجزه عن تمييز حرياته واختياراته ومسؤولياته عن حياته التي تكون محكومة بحتمية صارمة، وتظل كراهيته لذاته لفترة طويلة بعد أن يكون قد ترك السياق الأسري الذي ولّد هذه الكراهية.[23]

وانتقالاً إلى واقع مضامين الفيس بوك، يتجلى واقع التوصيف أعلاه، حيث أصبح الفيس بوك متنفسًا لحالات الاكتئاب التي تلازم العديد من شبابنا، ولم تعد ظاهرة اكتئاب الفيس بوك خاصة بالمجتمع الأمريكي فقط بل انتشرت إلى العالم كما انتشر الفيس بوك، ووجود هذا المتنفس الافتراضي انتقل في دورة انعكاسية من تفريغ شحنات سلبية من أجل الراحة في التعبير عن الحالات النفسية، إلى معزز سلبي للحالات الشعورية السلبية، وانتقالاً إلى تعزيز الحالات الاجتماعية كالطلاق العاطفي والتفكك الأسري والاغتراب والشك وعدم الثقة والنبذ الاجتماعي... ونضرب مثالاً في ذلك بأسماء الصفحات التي تدل وبشدة على مضامينها: **الحرقة ولا القعدة في dz، الحقرة والتهميش، دزيري وقلب مجروح، عاقل في بلاد مهابل...**

23 منى بنت عبد الله بن نبهان العامرية، مرجع سبق ذكره، ص 25

أما عن المضامين فهي تتحدث عن الواقع المرّ، المشاكل الاجتماعية من بطالة وكره للأوضاع والفساد والرغبة في الهجرة وتصور أوروبا الخضراء، والزواج بالأجنبيات والهرب من اضطهاد الوسط القريب للشباب وتحقيره، وخسارة الفرص للطَموح، والانتحار....

لكن لا يخلو الفيس بوك أيضًا من حسابات الشباب الجزائري البنّاء والطَموح، المخصصة إجمالًا للأشكال الإيجابية للتعامل مع هذا الموقع، أو مضمون ما يتم نشره وتدوينه وتداوله. «إنّ الأشخاص المتقبلين لذواتهم يقدرون تقديرًا واقعيًا بحدود قدراتهم، ويكونون مدركين لمعاييرهم ومعتقداتهم دون أن يكون هناك أي تأثير عليهم من قبل الآخرين وما يبدونه من آراء، كما يدركون نواحي قصورهم دون اللجوء إلى لوم أنفسهم، إنّهم لا يعتقدون أنّهم يجب أن يكونوا فوق مشاعر الغضب والخوف، أو أنّهم خالون من الرغبات المتصارعة، أو أنّهم غير قابلين للخطأ، فهم قادرون على التحكم في مشاعرهم واتجاهاتهم اتجاه القضايا والأحداث، وهؤلاء الأشخاص يكونون مبادرين سريعي الاندماج والانتماء في أي مكان كانوا، لديهم الكفاءة والشعور بقيمتهم الذاتية وقدرتهم على مواجهة التحدي، فهم واثقون من أنفسهم يتميزون بالاستقلال الذاتي وقادرون على تحمل المسؤولية ومتفائلون اتجاه الحياة والناس.[24]

فبين صفحات: **ناس الخير** التي أصبحت متفرعة الانتشار تعبر عن انتشار الجمعية، إلى الافتخار بالذات من خلال الافتخار بالانتماء الجزائري كصفحة **جزائري وافتخر**، أو الصفحات العديدة التي تنشط سياحيًا عن الجزائر بمناطقها عبر الوطن، بتقاليدها بتعاليم الإسلام المغروسة في شبابنا، إلى صفحات الإبداع الأدبي والعلمي، إلى صفحات خيرية بالكامل كما حدث للشاب عدلان وجراحة قلبه التي كانت بمبلغ ضخم جندت فيه الصفحات الفيسبوكية لحملة جمع للتبرعات أتت بثمارها على أرض الواقع، لنذكر بعض الحسابات: **تكتل الجزائر خضراء، الجزائر فوق كل اعتبار، الجزائر وما أدراك ما الجزائر، أحلى مناظر في بلادي.....**

إذن؛ التقت خصائص الفيس بوك مع تجليات وعي الذات لدى الشباب الجزائري لكي تفجّر هذه الطاقات الإبداعية سلبيةً كانت أم إيجابيةً في نشر مضامين وفتح حسابات عدة كانت الدال على المدلول منها وفيها.

24 منى بنت عبد الله بن نبهان العامرية، مرجع سبق ذكره، ص 24

خـاتمة:

وعي الذات عند الشباب الجزائري في ظل موقع التشبيك الاجتماعي «الفيس بوك»، ليس بالمعطى البسيط، إنّه ذاك التعقيد الذي يصوغ الكثير من جوانب كينونتهم ووعيهم بحاضرهم ومستقبلهم، وعيهم بمن يكونون وما يطمحون إليه، وما يستطيعون فعله أو التراجع عنه، فبالفيس بوك أصبح للعديد منهم شخصية وهوية، اسم جديد لم تسجله الدوائر الحكومية ولا واقع الحياة، وما هذه القراءة التحليلية السريعة إلا فاتحة ومقدمة دراسات أعمق وأشمل لـ «انفصامية حقيقة الاسم والهوية لدى الشباب الجزائري عبر الفيس بوك ووعي الذات عندهم إلى أين؟».

المراجع:

1/ أحمد عكاشة، **الطب النفسي المعاصر**، مكتبة الآنجلو مصرية، ط5، 2010

2/ آرثر آسا بيرغر، ترجمة صالح خليل أبو أصبع، **وسائل الإعلام والمجتمع: نظرة نقدية**، عالم المعرفة، الكويت، 2012

3/ سامية عزيز وعمر حمداوي، **دور المجتمع المدني في المحافظة على الهوية الثقافية في ظل العولمة**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري.

4/ سهيل إدريس، **قاموس المنهل عربي-فرنسي**، دار الآداب للنشر والتوزيع، 2005

5/ جبريل بن حسن العريشي، **التحول إلى مجتمع معلوماتي وتحديات المحافظة على الهوية الثقافية في المملكة العربية السعودية**، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2016

6/ جبريل حسن العريشي وسلمى بنت عبد الرحمن محمد الدوسري، **الشبكات الاجتماعية والقيم رؤية تحليلية**، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015.

7/ عباس الجراري، **مكونات الهوية الثقافية المغربية** (مقال منشور)، 1988

8/ عبد الرحمن بن إبراهيم الشاعر، **مواقع التواصل الاجتماعي والسلوك الإنساني**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015

9/ عبد العزيز حنان، **نمط التفكير وعلاقته بتقدير الذات**، رسالة ماجستير منشورة إلكترونيًا، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2012/2011.

10/ عبد الله حسين المنشولي، **مبادئ العلاج بالقراءة مع دراسة تطبيقية مع مرضى الفصام**، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط 5، 2007.

11/ عمار إبراهيم القندلجي، **الإعلام والمعلومات والانترنت**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2013، ط1.

12/ مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2013

13/ ماهر عودة الشمايلة وآخرون، **الإعلام الرقمي الجديد**، الإعصار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015، ط1.

14/ مجموعة من الكتاب، ترجمة علي سيد الصاوي، **نظرية الثقافة**، عالم المعرفة، الكويت، 1997، العدد 223

15/ منى بنت عبد الله بنت نبهان العامرية، **أبعاد مفهوم الذات لدى العاملات وغير العاملات وعلاقته بمستوى الضغوط النفسية والتوافق الأسري بمحافظة الداخلية**، رسالة ماجستير منشورة إلكترونيًا، جامعة نزوى، 2014

16/ نادية بن ورقلة، **دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي السياسي لدى الشباب العربي**، دراسة منشورة إلكترونيًا.

17/ http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=339292

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

All rights reserved © 2016

جميع الحقوق محفوظة © 2016